على ضوء لقاء مع الفيلسوف الفرنسي : سـارتر والمسألة الفلسطينية

داود تلحمي

كان اول لقاء لي بسارتر في اواخر ١٩٦٥ ، والاخير في مطلع ١٩٧٢ . في المرة الاولى كان اللقاء بصدد التحضير لعدد خاص من **مجلته** « الازمنة الحديثة » حول المشكلة الفلسطينية (الذي لم يصدر الا في اول حزيران ١٩٦٧ : وكانت صدفة غريبة ساعدت على رواجه) . والمرة الاخيرة ، كانت لتسجيل مواقفه الحالية **لمجلتنا** « شؤون فلسطينية » . وبين اللقائين ست سنوات ونيف حملت معها احداثا غيرت الكثير من المفاهيم . فالمقاومة الفلسطينية اكدت للعالم وجود الشعب الفلسطيني واستمرار رفضه للاغتصاب وتصميمه على النضال والتضحية ، واسرائيل « الحمل الوديع المحاط بذئاب جائعة » أصبحت تحتل من الاراضي العربية مساحة تزيد عن اربعة اضعاف ما احتلته في ١٩٤٨ . هذا على ارض المعركة (أي موضوعيا) ، أما ذاتيا ، فقد قام سارتر في مطلع ١٩٦٧ بزيارة مصر وقطاع غزة والارض المحتلة ، والتقى بالعديد من المثقفين وغير المثقفين واصحاب المسؤولية واللامسؤولين (يوضح هو نفسه ذلك في اللقاء الاخير) . ثم اصدر عدده الخاص من ألف صفحة الذي احتوى على اكثر من اربعين مقالة لعرب واسرائيليين بالاضافة الى مقالة مكسيم رودنسون الشهيرة ووثائق اخرى . والتقى بعد ذلك بممثلين عن المقاومة وبأنصارها في فرنسا ، وتابع اخبارها . وهو الآن اذا مطلع على المشكلة التي قال في عام ١٩٦٥ بتواضع انه يكاد يجهلها وان احدى فوائد العدد الخاص مساعدته على رؤيتها بشكل اوضح .

وسارتر ليس بحاجة الى تقديم فهو الفيلسوف الاديب الذي **رفض** جائزة نوبل ، وسار مع الطلبة في انتفاضة ايار ١٩٦٨ ويقف اليوم مع التنظيمات الماوية في عملها العنيف ضد النظام في فرنسا . وهو لا ينفك عن الكتابة في ميادين الفلسفة والرواية والقصة والبحث التاريخي والسياسي . ولسنا هنا بصدد تقييم هذا النتاج والحكم على مواقفه السياسية بشكل عام ، فموضوعنا اكثر تحديدا . الا أنه من الضروري التأكيد على بعض النقاط قبل الدخول في صلب الموضوع :

اولا : ان اسهام سارتر في اغناء الادب والفلسفة العالميين بشكل وافر امر لا مجال للنقاش فيه ، واطلاعه وثقافته في هذين المجالين لا جدال فيهما « بدأت حياتي كما لا بد انها ستنتهي : بين الكتب » (كتاب « الكلمات » ص ٣٧) .

ثانيا : على الصعيد السياسي ، اتخذ جان بول سارتر منذ شبابه (كما يروي في كتاب « قضايا منهجية » ص ٢٦ وما يليها) موقفا يساريا عاما ضد الاضطهاد والقمع ، وتبلور ذلك فيما بعد في مواقفه من حركات التحرر العالمية (وخاصة الحركة الجزائرية